سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

شرح «العقيدة الوَاسِطِيَّةِ»

الدرس الخامس عشر

لفضيلة الشّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريع

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الخامس عشر

وَقَوْلِهِ:﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾[البقرة:٢١٠] وَقَوْلِهِ تعالىٰ: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾[الأنعام:١٥٨]، وَقَوْلِهِ تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾[الفجر]، وَقَوْلِهِ تعالىٰ: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان].

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

اللّٰهمَّ علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا وعملًا يا أكرم الأكرمين.

أما بعد..

فهٰذه الآيات فيها ذكر صفاتٍ من جنس واحد، وهي صفة (الإتيان) و(المجيء) و(النزول) لله جل وعلا، وشيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر هٰذه الآيات كمثال، وإلا فالآيات والأحاديث التي فيها ذكر (مجيء) الله جل وعلا وذكر (إتيانه) وذكر (نزوله) كثيرة بحيث يُقطع معها أنَّ المراد بها – يعني بتلك الصفات – حقائقها التي دلت عليها ظواهر الألفاظ لتلك الصفات.

ففي آية سورة البقرة قال جل وعلا: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾، قوله: ﴿ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ يعني يوم القيامة للفصل بين العباد، وذكر هٰذه الصفة لله جل وعلا ووصف الله بها نفسه، وهي صفة (الإتيان) فقال: ﴿ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾.

وفي الآية الثانية قال جل وعلا: ﴿ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾، فقوله: ﴿ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ ﴾ فيه إثبات هٰذه الصفة لله جل وعلا وهي صفة (الإتيان).

وقال جل وعلا: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾، قوله: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ فيها إثبات صفة (المجيء) لله جل وعلا.

وقوله: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ قوله: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ ﴾ فيها إثبات صفة (النزول) لله جل وعلا يوم القيامة لفصل القضاء، وجه الدِّلالة أن تشقق السماء بالغمام هو مقدمة ذلك النزول كما بيّنت ذلك السنة وكما دلّ عليه قوله جل وعلا: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾، فقوله: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ ﴾ تفسرها آية البقرة وكذلك السنة ففيها (إتيان) الله جل وعلا يوم القيامة للفصل بين العباد، وكذلك فيها إثبات (نزوله) جل وعلا.

يظهر لك أن هٰذه الصفات في هٰذه الآيات ذُكرت بصيغة الفعل فقال جل وعلا: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ﴾، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ ﴾ وقال: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ وقال: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ ﴾ يعني (وجاء ربك) أو (وأتىٰ الله) والتعبير بالفعل كما هو معروف مشتمل علىٰ شيئين: مشتمل علىٰ (زمن) و (حدث) والحدث هو مصدر لذلك الفعل.

فإذن في قوله: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾، فيها زمن ذلك الفعل وهو المستقبل، وفيها الحدث الذي هو (الإتيان).

كذلك قوله: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ فيه الزمن، وفيه (المجيء) الذي هو المصدر.

وهكذا في غيرها من الآيات ولا يشكل علىٰ هٰذا قول طائفة من أهل السنة إن باب الأفعال أوسع من باب الصفات، وذلك أن مرادهم بقولهم: باب الأفعال أوسع من باب الصفات أنه قد يطلق الفعل ولا يراد به إثبات الصفة من كل وجه، وهٰذا مثل قوله جل وعلا: ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾[البقرة:١٥]، ومثل قوله: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ ﴾[النساء:١٤٢]، مثل قوله: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ ﴾ [البقرة:٩] ونحو ذلك مما فيه الفعل فهٰذا منقسم.

وما ذُكِر من الآيات هٰذه الجميع كل فعل يطلق لا شك أنه مشتمل علىٰ الحدث، والحدث وصف، وما قالوه من أن باب الأفعال أوسع يعنون به أنه ليس كل فعل أُضيف إلىٰ الله جل وعلا سيكون فيه إثبات الصفة علىٰ وجه الإطلاق؛ بل قد يطلق الفعل ويراد به إثبات الصفة علىٰ وجه التقييد.

فباب الأفعال أوسع لا شك من باب الصفات، فربما يطلق الفعل ويكون عند إثبات الصفة مقيدا كما نقول: (يمكر الله جل وعلا بمن مكر به)، (الله جل وعلا من صفاته الاستهزاء بمن استهزأ به)، (من صفاته خداع من خادعه)، (من صفاته كيد من كاده من كاد أولياءه) ونحو ذلك.

قوله جل وعلا في هٰذه الآيات: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾، والآية الأخرىٰ ﴿ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ ﴾ وفي الثالثة ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾ ونحو ذلك هٰذه الصفات هي من جنس واحد وهي صفة (الإتيان) و (المجيء) و (النزول)، ومثلها صفة (الهرولة) ونحو ذلك من الصفات التي هي كما يقول شيخ الإسلام وغيره من جنس الحركة، وهٰذه الصِّفات جنس واحد ودِلالتها متقاربة، ففيها إثبات صفة (الإتيان)، إثبات صفة (المجيء)، والمجيء يكون عن إتيان، والإتيان يكون بمجيء، كذلك فيها إثبات صفة (النزول)، فهٰذه الآيات دالة علىٰ إثبات هٰذه الصفات.

أما لفظ (الحركة) فهو لفظ لم يرد لا في الكتاب ولا في السنة إثباته لله جل وعلا.

وقولهم إنه من جنس الحركة كما قاله عثمان بن سعيد الدارمي في رده علىٰ بشر المريسي، وكما قاله بعض أصحاب أحمد، وكما قاله شيخ الإسلام استعمالهم لفظ الحركة قالوا: الحركة يراد بها معناها في اللغة حينما نقول ذلك، وهو أنه فيها **الانتقال بالفعل من شيء إلىٰ شيء هٰذا أصله**، وقد تكون حركة نفس، وقد تكون حركة ذات، وقد تكون حركة فعل، وقد تكون حركة صفة، وهٰذا في اللغة يعني بابها فيه سعة.

ولهٰذا لم تستعمل في الكتاب ولا في السنة لله جل وعلا بلفظ الحركة، أما أفرادها فكثيرٌ منها وصف الله جل وعلا به كصفة (الإتيان) كما ذكرنا و(المجيء) و(النزول) و(التقرب) و(الهرولة) ونحو ذلك.

قوله جل وعلا هنا: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ سمعت قول أهل السنة في ذلك.

وأما المبتدعة فهم يدَّعون في صفات الأفعال الصفات الفعلية هٰذه أنها مجاز، والمجاز معناه عندهم أن ثَمَّ حذف في الكلام، فقوله جل وعلا ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ يعني : إلا أن يأتيهم أمر الله، أو إلا أن يأتيهم عذابُ الله ﴿ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ ﴾.

وكذلك قوله: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾ عندهم أي (وجاء أمر ربك) أو (وجاء مُلْك ربك) وهٰذا ونحوه **يسمونه مجاز الحذف**، يعني أنه حُذِف بعد الفعل كلمة هي فاعل الفعل أو هي التي يضاف إليها الفعل، أما الله جل وعلا عندهم فليس بمتَّصف بمجيء ولا إتيان ولا نزول ولا غير ذلك.

فكل موضع فيه إثبات تلك الصفات لله جل وعلا يحرِّفونه بالمجاز، ويقولون: ثَم مجاز حذْف، ومن أصول الرَّدِّ عليهم – الرد عليهم يطول المقام به لكن من أصوله – أن المجاز أولا كما ذكرت لكم آنفا أن المجاز فيه تركٌ للمعنىٰ الأول إلىٰ المعنىٰ الثاني وذلك لعلاقة بينهما.

وهٰذا لا يُصار إليه إلا إذا امتنع الأول أو لم يناسب – يعني هٰذا علىٰ كلامهم –؛ يعني نتنزل معهم في إثبات المجاز، يعني نقول: المجاز نجاريكم في أنه مثبت، وعلىٰ قاعدة المجاز عندكم بأنه لا يقال بالمجاز بنقل اللفظ من المعنىٰ الأول إلىٰ المعنىٰ الثاني لعلاقة إلا إذا لم يناسب المقام أو لم يصح الكلام، مثل ما قالوا في قوله: ﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾[يوسف:٨٢]، قالوا هنا: فيه مجاز حذف يعني (واسأل أهل القرية)؛ لأن القرية لا تُسأل في نفسها وإنما يُسأل أهلها، قالوا: كذلك ﴿ وَسۡـَٔلِ ... ٱلۡعِيرَ ﴾ علىٰ هٰذا النحو يعني (واسأل أصحاب العير) وهكذا في كل موضع فيه مجاز حذف كما ادعوه، نقول: إن قيل به – والبحث سبق لنا بحث مفصل في المجاز لكن إبطاله نقول المجاز أصلا ليس بصحيح، لكن هنا تنزلا – نقول: حتىٰ ولو علىٰ إثبات المجاز فليس المقام مقاما واحدا لأن مجاز الحذف يصار إليه إذا كان الكلام مشكلا ولا يمكن إلا بإثبات مجاز الحذف، وهٰذا إذا قيل به في ﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ﴾ و﴿ وَسۡـَٔلِ ... ٱلۡعِيرَ ﴾ ونحو ذلك فذلك للإشكال الواقع لأن القرية لا تُسأل، وأما قوله جل وعلا: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ﴾ فنفي (الإتيان)، لو كان (الإتيان) الذي أثبته الله جل وعلا لنفسه في موضع واحد أتىٰ في موضع واحد هو ونظائره – يعني مثل (المجيء) و (النزول) إلىٰ آخره – لكان ربما يكون لهم وجه في التعلق؛ لكن النصوص متكاثرة في إثبات (الإتيان) وفي إثبات (المجيء)، ومحال أن يكون الكلام كله علىٰ هٰذا ذاهب إلىٰ الحذف في كل موضع؛ لأن معنىٰ ذلك أن كل الصفات الفعلية كلها فيها مجاز حذف، وهٰذا معناه نفي كل صفة فعلية لله جل وعلا، وهٰذا يؤول إلىٰ تعطيل الله جل وعلا عن صفاته الفعلية، ولا شك أن هٰذا باطل.

أيضا هٰذه الآيات فيها إثبات الحقيقة، ولا يمكن أن يقال: إن الآيات لا تدل علىٰ حقيقة ما جاء فيها من الصفات، إذ إن هٰذه الآيات ظاهر فيها أن المراد الصفة، فانظر مثلا إلىٰ قوله: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ ﴾ المجاز الذي ادعوه (أن يأتي أمر الله، أن يأتي عذاب الله) إلىٰ آخره ﴿ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ ﴾ لا يناسب ذلك، لا يناسبه البتة، كذلك قوله جل وعلا: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾ لا يناسب أن يكون المقام (وجاء أمره أو وجاء عذابه أو نحو ذلك) لأن السياق يدل علىٰ أن (المجيء) و (الإتيان) ونحو ذلك بذاته جل وعلا.

إذن فما ادعوه من هٰذا يُبْطَل بأوجه:

الأول: أصلها رد المجاز من أصله كما سبق أن أوضحناه مفصلا فيما قبل.

الثاني: تنازل معهم وإبطال ما ادعوه من أن هٰذه الآيات فيها مجاز بنفي دعوىٰ المجاز فيها بخصوصها.

إذا تقرر هٰذا فنقول: (الإتيان) و(المجيء) ونحوه في القرآن والسنة ورد علىٰ جهتين:

الأولىٰ: أنه يرد مطلقا.

والثانية: أن يرد مقيدا.

ونعني بالمطلق أنه لا يتعدَّىٰ، ونعني بالمقيد أن يكون متعديا.

ومثال المطلق ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ هٰذا لم يتعدَّ المجيء إلىٰ شيء، مثاله: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ يعني: يأتي الله أولئك، هٰذا معناه هو تعدىٰ من جهة المفعول؛ لكن ليس من جهة -يعني كون الله جل وعلا أتاهم- ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ فيه أن (الإتيان) هنا صفة لله جل وعلا وهٰذا من قسم المطلق؛ لأن التعدي هنا ليس تعديا للفعل، يعني بالفعل أقصد به بالصفة وإن كان في اللغة الفعل تعدىٰ إلىٰ المفعول.

يعني حتىٰ لا تشتبه: المطلق ما فيه الوصف.

وأما المقيد فما يكون مُعَدّا إلىٰ شيء بحرف أو بمفعول وتكون التعدية هٰذه ليس ظاهرا فيها الصفة.

مثاله قوله جل وعلا: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ هنا تعدىٰ الإتيان إلىٰ البنيان، وقال فيه: ﴿مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فدلت الآية علىٰ أن هٰذه الصفة وهي الإتيان هٰذه إتيان عذابه، وذلك لأنه ما بين البنيان وبين القواعد.

كذلك قوله في الحديث «اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت» هنا «يأتي بالحسنات» هٰذا عُدِّي فيكون الإتيان هنا ليس إتيان الذات وإنما هو إتيان الصفات.

وهكذا في مواطن كثيرة يأتي الإتيان مقيدا فيكون المراد الإتيان بالصفات، إما عذاب الله وإما رحمته وإما بملائكته ونحو ذلك، الصفات كعذاب الله ورحمته أو ببعض خلقه كملائكة ونحو ذلك.

أما المطلق هٰذا فيه إثبات الصفة، وهٰذا ظاهر من نحو الأمثلة التي ذكرنا.

قوله جل وعلا: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ فيها من البحث أن النظر هنا بمعنىٰ الانتظار ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ﴾ فالنظر يكون له استعمالان:

ومنها أن يكون النظر بمعنىٰ الانتظار ومن ضوابطه أن يكون بعد النظر (إلا) وقبله (استفهام)، فيكون النظر بمعنىٰ الانتظار.

وقد يكون النظر بمعنىٰ (الرؤية) إذا عُدّي بـ(إلىٰ) أو..[1] محله محل النظر وهو الوجه فيكون رؤية العين.

فإذن يكون النظر يأتي:

---

[1] هناك مسح ومعناه قد ذكره الشيخ حفظه الله بعده والحمد لله.

- بمعنىٰ الانتظار هٰذا له ضابط.
- يأتي بمعنىٰ الرؤية إذا عدي بـ (إلىٰ) أو ذكر محله وهو الوجه.
- يكون النظر محتملا أن يكون الانتظار أو الرؤية إذا عدي إلىٰ المفعول بنفسه، كما تقول: (نظرت محمدا) فيحتمل أن يكون المعنىٰ انتظرته أو يكون المعنىٰ رأيت محمدا.

وقوله هنا: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ ﴾ بمعنىٰ هل ينتظرون، ويأتي بحث ذلك مفصلا إن شاء الله في رؤية الله جل وعلا.

قوله: ﴿ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ ﴾ (الظُّلل) جمع ظُلّة، والظلة هي ما يظل المرء أو يظل الشيء، وقد تكون بالغمام وقد تكون بغيره مما يُظل، (يظِلُّ) من الإظلال بالظاء[1] لهٰذا قال بعدها: ﴿ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ ﴾ و (الغمام) هو(السحاب الأبيض الرقيق الناصع البياض الخفيف الجميل) وهٰذا يسبق نزول الله جل وعلا للفصل بين العباد فصل القضاء يوم القيامة ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ ﴾، وهٰذا كما قال جل وعلا في آية الفرقان ﴿ وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلٗا ﴿٢٥﴾ ﴾، قوله: ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ الملائكة ينزلون أيضا، ويكونون صفوفا كما دلت عليها آية الفجر ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾ ﴾ ويكونون صفوفا، هل يحيطون بأهل المحشر أو صفوفا يحيطون بالأرض من أطرافها؟

فهٰذا فيه قولان: والأظهر أنهم يحيطون بأهل المحشر من الجن والإنس، وذلك بحسب ما يكونون عليه من الأرض، والملائكة تنزل وتُحْدِقُ بالناس والجن، تحدق بالإنس والجن وتكون من ورائهم صفوفا صفا بعد صف.

قال جل وعلا في الآية الأخرىٰ آية الأنعام: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ ﴾، ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ هٰذا مثل الأولىٰ ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ ﴾ يعني(هل ينتظرون إلا) ﴿ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ يعني (بالعذاب)، ﴿ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ ﴾ لفصل القضاء بينهم ﴿ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ وهي طلوع الشمس من مغربها لهٰذا قال بعد: ﴿ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ فطلوع الشمس من مغربها إذا حصل آمن الناس بها أجمعون؛ يعني آمن الناس بالله أجمعون وسلَّموا وهٰذا لا ينفعهم؛ لأنهم قد رأوا آيات الله جل وعلا العظام.

وطلوع الشمس من مغربها هي بعض الآيات في تفسير عامة السلف في قوله: ﴿ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ ﴾ وذلك لأن النبي ﷺ فسرها بذلك.

والآيات العظام لأنه قال هنا: ﴿ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ ويُعنىٰ بها أشراط الساعة العظام، وأشراط الساعة العظام عشر مرتبة كما جاءت في الأحاديث، وهي:

١. خروج المسيح الدجال.

---

[1] انتهى الشريط الثامن(عوض).

٢. ثم نزول عيسىٰ ابن مريم عليه السلام.
٣. ثم خروج يأجوج ومأجوج.
٤. ثم خسف بالمشرق.
٥. ثم خسف بالمغرب.
٦. ثم خسف بجزيرة العرب.
٧. ثم الدخان.
٨. ثم طلوع الشمس من مغربها وهي الثامنة.
٩. ثم خروج الدابة علىٰ الناس ضحىٰ.
١٠. ثم النار تخرج الناس إلىٰ أرض محشرهم.

هٰذه هي الآيات العشر العظام، ولهٰذا قال هنا في آية الأنعام ﴿ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ يعني بعض العشر العظام التي هي دليل علىٰ الإيذان للكفار بالهلاك والعذاب السرمدي الذي ﴿ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الزخرف].

وآية الفجر وهي قوله جل وعلا: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ في قوله: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ كما ذكرنا إثبات صفة (المجيء) لله جل وعلا وقوله: ﴿ وَٱلْمَلَكُ ﴾ المراد الملائكة كما في آية البقرة وغيرها، الملائكة يأتون ﴿ صَفًّا صَفًّا ﴾ علىٰ نحو ما وصفت لك ويكون مجيء الملائكة قبل مجيء الله جل وعلا، يعني كون الملائكة ينزلون في صفوف يطْبِقون بالناس قبل مجيء الله جل وعلا للفصل بين العالَمين.

إذا تقرَّر هٰذا فنبَّه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الصواعق» علىٰ أن ما ورد مقيدا من هٰذه الصفات التي ذكرنا مما لا يراد به الصفة، وإنما يراد: مجيء العذاب، الإتيان بالعذاب، الإتيان بالرحمة ونحو ذلك كقوله: ﴿ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴾ ونحو ذلك، قال: وهٰذا المقيد يفسَّر بأنه الإتيان بعذاب الله أو في موضع آخر الاتيان برحمته أو إتيان الملائكة، قال: ولا يمتنع أن يكون إتيان الله جل وعلا لهٰذه مع ذلك حقيقيا ويكون كدنوِّه جل وعلا، وهٰذا منه إعمال لكل المواضع مع أنه هو الذي قسمها إلىٰ مطلق ومقيد، وجعل المقيد لا يراد به الصفة؛ لكن قال: لا يمتنع أن يكون يراد به مع ذلك أن يأتي الله جل وعلا بذاته ويكون ذلك كدنوه، كما يكون جل وعلا يدنو من أهل عرفة، وكما ينزل كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا ونحو ذلك، فيكون في ذلك الإتيان الدنو مع أن المراد بالإتيان إتيانه جل وعلا بصفاته أو بملائكته أو بعذابه ورحمته ونحو ذلك.

قوله جل وعلا في آخر آية: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ﴾، ﴿ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ ﴾ المراد يسبقه التشقق -تشقق السماء بالغمام- ولهٰذا قال بعض أهل العلم: التشقق إيذان بنزول الله جل وعلا، (تشقق السماء بالغمام) إيذان بنزوله، فهو منه؛ لأن الإيذان بعض المُؤْذَن به. يريد أنه مقدِّمة، وإذا كان مقدمة كان دالًّا عليه وهو بعض الصفة فيكون الدليل علىٰ أنَّ هٰذه الآية المراد بها نزول الله جل وعلا أنَّ التشقق إيذان بنزول الله، وإلا يكون إيراد شيخ الإسلام لهٰذه الآية في هٰذا الموطن ليس له وجه

مناسبة، لأن الكلام علىٰ مجيء الله وإتيانه ونزوله فما معنىٰ إيراده لقوله تعالىٰ: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ﴾ ما مناسبتها لإتيان الله ونزوله يوم القيامة لفصل القضاء؟

مناسبتها هٰذه، وهي أن التشقق إيذان بالنزول، وقالوا: الإيذان بالشيء هٰذا منه؛ يعني يدل عليه، فإذا أذِن بشيء دل عليه، كما تقول: أنت إذا علمت مصاحبة فلان لفلان دائما تقول: (جاء محمد) ولم تره وإنما رأيت من يصاحبه دائمًا لا ينفك عنه وهو عبدالله مثلا، فإذا رأيت عبدالله استدللت علىٰ ذلك بقدوم محمد، كذلك الأشياء المتلازمة مثل سماع الصوت مع الشخص، ومثل الرعد والبرق مع المطر ونحو ذلك من الأشياء.

المقصود: وجه دلالة الآية أن فيها إيذان بنزول الله، وذلك دال علىٰ ، فتكون الآية من آيات الصفات بهٰذا المعنىٰ.

كيف؟

لا ما يفهم منه.. يعني من صفة الله؟ لا ليس من صفة الله؛ لكن هو يعني بسبب الإتيان، من صفة الإتيان، يعني التشقق من صفة الإتيان مو من صفات الله، التشقق تشقق السماء هو من صفات السماء فهو بسبب الإتيان؛ يعني أن الله جل وعلا إذا نزل إلىٰ الأرض كما يليق بجلاله وعظمته لفصل القضاء تشققت السماء، فيكون تشقق السماء إيذان بنزوله فهو دليل حتمي ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ ﴾[المزمل] سبحانه وتعالىٰ.

التشقق حسي نعم، التشقق ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ ﴾[الإنشقاق] التشقق حسي حقيقي، السماء تتصدع وتنزل بالغمام، وهٰذا يكون تشقق السماء يكون في موطنين:

- الموطن الأول بين النفختين.
- وهٰذا هو الموطن الثاني.

.. التشقق هٰذا للنزول الأخير النزول لفصل القضاء، أما نزول الله جل وعلا إلىٰ السماء الدنيا كل ليله أو نزوله عشية عرفة فهٰذا كله ليس معه تشقق، هٰذاك إتيان، هٰذا نزول..

سؤال (): يقول: سبب مجيء الملائكة يوم القيامة هو لقبض الأرواح أم لتعذيب الكفار في الآية الأولىٰ: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ ﴾[البقرة:٢١٠]؟

الجواب: ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر قاعدة في التفسير في مجيء الملائكة، فيقول: إذا ذُكر مجيء الملائكة أو إتيان الملائكة فيُراد به إتيانهم بالعذاب المستأصل للكفار أو إتيانهم لقبض الأرواح، يقول: هٰذا الذي جاء في القرآن، فكل موضع يكون فيه ذكر مجيء الملائكة أو إتيان الملائكة فإنما هو لأحد شيئين:

- إما لقبض الأرواح.
- أو للعذاب المستأصل للكفار.

فإذن في قوله هنا في آية البقرة: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ هل هٰذا لقبض الأرواح أو للعذاب السرمدي للكفار؟ هو للعذاب السرمدي للكفار، ولهٰذا قال بعدها: ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾[البقرة].

سؤال (): يقول هنا: كيف يوفَّق بين قوله: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ ﴾ وقوله: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾[الأنبياء:١٠٤]؟

الجواب: هٰذا في موطن وهٰذا في موطن، طي (السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ) هٰذا قبل، بين النفختين ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ ﴾[الرَّحمٰن] يعني أن أحوال السماء والأرض مختلفة، فالتشقق والطي.. ونحو ذلك هٰذا يكون بين النفختين؛ لأنها تتغير السماء، ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾[إبراهيم:٤٨]، بين النفختين، بين النفخة الأولىٰ التي هي نفخة الصعق ونفخة البعث، هٰذا تتغير أشياء كثيرة، الجبال تروح والأودية ترتفع وتكون الأرض ملساء صافية الناس جميعا ينظرون إلىٰ مكان محشرهم، تعلو الظلمة.. إلىٰ آخره حتىٰ تشرق الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا جل وعلا.

في بعض الأسئلة ما تكون إشكال واضح، فهٰذا الأفضل لطالب العلم التي تكون الأسئلة التي ليست بإشكال يرجع لها بنفسه، يعني يطالعها بنفسه في التفاسير أو في كتب العقيدة أو نحو ذلك.

سؤال (): يقول: هل ممكن أن نقول أن الحركة وإطلاقها علىٰ الله من باب الأفعال؟

الجواب: ما في شك جنسها من باب الأفعال، أما الحركة ما تطلق علىٰ الله كما ذكرت لك، جنسها من باب الأفعال، يعني (المجيء) فعل (الإتيان) فعل (النزول) فعل إلىٰ آخره، وأفعال الله جل وعلا صفات قائمة به ليست قائمة بغيره كما ذكرنا لكم قاعدة ذلك..إلىٰ آخره.

سؤال (): ما معنىٰ قول الله تعالىٰ في الحديث القدسي: «إني إذا أطعت رضيت وإذا رضيت باركت وليس لبركتي نهاية، وإذا عُصيت سخطت وإذا سخطت لعنت ولعنتي تبلغ السابع من الولد» وما ذنب ذريته، والله سبحانه يقول: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[الأنعام:١٦٤] ؟

الجواب: أولا هٰذا ليس بحديث قدسي، هٰذا في الآثار الإلهية يعني في آثار بني إسرائيل ذكرها الإمام أحمد وغيره «إنني أنا الله لا إله إنا إذا أطعت رضيت وإذا رضيت باركت وليس لبركتي نهاية، وإنني أنا الله لا إله إلا أنا إذا عُصيت غضبت وإذا غضبت لعنت وإن لعنتي تبلغ السابع من الولد» يقول: ما ذنب ذريته؟ الحديث طبعا ليس بحديث قدسي وإنما هو من أخبار بني إسرائيل، وإذا كان كذلك فليس فيه إشكال.

سؤال (): ما حكم الحلف بصفات الله مثل قول القائل: يا غضب الله؟

الجواب: طبعا السائل واضح أنه ما هو فاهم الفرق بين الحلف والنداء.

الحلف بالصفات جائز بالإجماع، فتحلف تقول وكلام الله، وقدرة الله، ومجيء الله وسمع الله وبصر الله هٰذا وتقول: بسمع الله كان كذا وببصر الله كان كذا وبكلام الله كان كذا، هٰذا جائز بالإجماع؛ لأن صفات الله جل وعلا غير مخلوقة، والذي يمتنع الحلف بالمخلوق.

أما تمثيله بقوله (مثل قول القائل: يا غضب الله) هٰذا ليس بحلف هٰذا نداء، ونداء الصفة لا يجوز وهو محرم؛ بل قال شيخ الإسلام في «رده علىٰ البكري» في أوائله قال: نداء الصفة كفر بالإجماع، وهٰذا يعني به صفة معينة، وهي (الكلام) الكلمة التي هو (يا كلمة الله) ويُعنىٰ بها المسيح عليه السلام أو علىٰ نحو معتقدات النصارىٰ، فهو كان يؤصله للفرق بين الكلام عند أهل السنة وغيرهم وضلال النصارىٰ، فقال:

دعاء الصفة ويعني به دعاء الكلمة قال كفر بالإجماع، وأما نداء الصفات الأخر فنقول محرم، وذلك؛ لأن الصفات من جهة النِّداء والدعاء غير الذات في ذلك المقام.

- قول: (هٰذا من حسن الطالع) طبعا هٰذا لا يجوز؛ لأن الطالع الذي هو النجم لا يملك ولا يدل علىٰ حسن ولا علىٰ قبح وليس له تأثير؛ بل هٰذه الكلمة أتت إلىٰ المسلمين من جراء مخالطتهم لغيرهم، وهٰذه كلمة باطلة، والطالع ليس بذي حسن وليس بذي قبح، وإنما هو خلق من خلق الله.

- ... هٰذا ليس نداء هٰذا استعاذة، لهٰذا أنا ذكرت لك قلت الصفة في باب الدعاء والنداء غير الذات من هٰذا الوجه يعني في هٰذا المقام، أما الاستعاذة فتستعيذ بالله جل وعلا وبصفاته، الاستعاذة من جنس القسم، والقسم يكون بالله وبصفاته وبأفعاله.

أما النداء الدعاء فليس الدعاء إلا للذات المتصفة بالصفات.

سؤال (): يقول: ذكرت أن الهرولة صفة، وهي صفة لم ترد إلا في حديث واحد «وإذا جاءني يمشي أتيته هرولة» ومن المعلوم أن العبد لا يمشي إلىٰ الله، وإنما المراد به التقرب إليه، وليس المراد ظاهره، فوجب أن يكون معنىٰ الهرولة علىٰ خلاف ظاهر دلالة السياق، وقد ذكر هٰذا بعض أهل العلم فما قولكم في هٰذا الكلام؟

الجواب: طبعا أهل السنة في الهرولة الأصل فيها أن تثبت لله جل وعلا، فهي من جنس باقي الصفات، هٰذا قول عامة أهل السنة، لكن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر في رده علىٰ الرازي في القسم المخطوط الذي لم يطبع بأن الرازي استدل بهٰذا الحديث علىٰ أنه لا يراد بها الصفة بالإجماع.

شيخ الإسلام قال له: هٰذا لأن الكلام ليس في الصفات، فقوله جل وعلا: «من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا» قال: معلوم أن التقرب لا يكون من العبد إلىٰ الله لا يكون بالمساحة، يعني ما يكون بالإمتار ما يكون بقطع شيء إلىٰ الذات وعليه يكون مقابله ليس كذلك.

كذلك قوله: «ومن تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعا » معلوم أن التقرب الأول الذي يحصل من العبد لا يكون بالمساحة، قال: فكذلك ما رُتِّب عليه وهو تقرب الله جل وعلا من العبد باعا.

قال: وكذلك قوله: «من أتاني يمشي أتيته هرولة» معلوم أن العبد لا يأتي الله جل وعلا ماشيا؛ يعني إلىٰ ذات الله بالمساحة، وإنما يكون إتيانه إلىٰ طاعة الله أو حركة روحه إلىٰ الله جل وعلا وقرب روحه من الله جل وعلا، فيكون: «**أتيته هرولة**» بمقابلة ذلك.

هٰذا الكلام منه من شيخ الإسلام تفصيلي يخالف بعض الكلام الذي أورده في بعض المواضع في الفتاوىٰ علىٰ هٰذه الصفة من جهة أنه أثبت أصل (التقرب) طبعًا والقرب من الله جل وعلا عاما بما يشمل التقرب بالقرب بالذات والقرب بالصفات.

وعليه فيمكن أن يقال: إن كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ إما لأنه في مقام المناظرة في مقام الرد أو أنه لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ قول غير ما أصل في الفتاوىٰ.

وفي الفتاوىٰ لم يذكر نص (الهرولة) فيما وقفت عليه، فنقول له قول في هٰذا يخالف عموميات أقواله وهو أن لا تكون الهرولة من صفات الله جل وعلا، وذلك يقول: لأن السياق يدل علىٰ أنه لم يرَد الصفة

«**من أتاني يمشي أتيته هرولة**» لم يرَد الأول وهو أن العبد يأتي إلىٰ الله ماشيا فإذن الثاني غير مراد، هٰذا كلام شيخ الإسلام في رده علىٰ الرازي.

والكلام فيه نوع إشكال، والمقصود أن عامة أهل السنة يثبتون (الهرولة)، ووقفت علىٰ كلام لعثمان بن سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رده علىٰ بشر المريسي يقول فيه: وقد أجمعنا أو اتفقنا وإياكم علىٰ إثبات صفة (الهرولة)، وهو من النقول القديمة عن السلف في إثبات هٰذه الصفة.

المقصود أن هٰذا أصل البحث في هٰذه المسألة، ولهٰذا من أهل العلم من قال: يمكن أن يقال في قوله: «**ومن أتاني يمشي أتيته هرولة**» أنه يمكن أن يقال: إنه من أتاني يمشي في عبادة تفتقر إلىٰ المشي أتيته بثواب ورحمة سريعين، وقد ذكر هٰذا الشيخ ابن عثيمين في «القواعد المثلىٰ» ورجح كما هو قول عامة أهل السنة القول الأول الذي ذكره وهو أنها صفة، وهٰذا هو الصحيح فهي من جنس الصفات من جنس الحركة، والله جل وعلا يتصف بما شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وليس له حدود يعني ليس لصفاته حدود، والعباد إنما يأخذون ذلك من الكتاب والسنة ولا يخوضون في ذلك بأفهامهم ولا بعقولهم، فالمسألة عظيمة.

هٰذا سؤال نرجئ الجواب عنه؛ لأنه سؤال جيد إن شاء الله نشوف الجواب عنه بإذن الله.

نكتفي بهٰذا القدر، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com